الفصل الثانى عشر

منتجات اواخر العصر الحماسى

تمهيد :

ألآن وقد وصلنا إلى نهاية العصر الحماسى ، ورأينا أن هذا النوع من الشعر قد شاخ وتضعضع ، وانصرفت عنه الميول ، ولكن لا إيذاناً بمغيب شمس المواهب أو انطفاء مصباح العبقريات ، بل انعطافاً إلى لون آخر من الشعر قد بدأ يشب و يترعرع و يستولى على النفوس و يشغل المكان الذى كان الشعر القديم يشغله على مسرح الحياة الأدبية ، ورأينا من نتائج هذا التضعضع ما رأيناه فى الفصل السالف من قصائد ضعيفة المبانى ، تافهة المعانى ، قصيرة المرامى ، رخيصة المغازى ، فقد وجب علينا أن نشير هنا إلى طائفة من القصائد ألفت فى هذا العهد وانخدع المؤرخون القدماء فى أصل بعضها ، فعزوه إلى هوميروس ووضعوا له عنوان « النشائد الهوميروسية » وتلك نسبة زائفة دون أدنى ريب ، و إن كان الحق يتطلب منا هنا أن نعلن أن من يتصفح هذا الجانب المعزو إلى هوميروس من تلك النشائد لا يلبث أن يسترعى انتباهه بصيص ضئيل خَلَفَهُ انعكاس متعثر من ذلك الضوء الهائل الذى كان لا يزال يشع من الإلياذة والأوديسا على ذلك العصر المتخاذل السائر فى طريق التخلى عن عرشه لخلفه الناشىء ، وليس هـذا فحسب ، بل إن كل ما يلتقى به القارىء فى هذه النشائد من معالم الفن الرفيع هو أثر باهت لذلك السمو الذى كان قد انتهى من تسجيل الخلود لهـذا الإنتاج المعجز ولأربابه الأفذاذ .

ومهما يكن من شىء فقد ظل هـذا الخطأ سائداً بين المتأدبين حتى أزال النقاد المحدثون النقاب عن الحقيقة بفضل العثور فى هذه النشائد على أسماء أو حوادث لم تنشأ إلا

فى القرن السابع مما يستحيل معه القول بصدورها عن مؤلف الإلياذة والأوديسا . ومن هذه القصائد كذلك قصائد الهجاء واللذع والسخرية وقصيدة « مَرْجيتيس » وقصيدة « بَتْراخُميوماخيًا » أى الضفادع ، وهاك شيئاً عن هذه النشائد وتلك القصائد :

(١) النشائد الهوميروسية

بلغت هذه النشائد أربعة وثلاثين نشيداً منها خمسة هى حقاً من مؤلفات العصر الحماسى الطويلة الجديرة بالاعتبار ، وتسعة عشر ، قصيرة إلى حد أن بعضها لا يتجاوز بضعة أبيات والعشرة الأخر متوسطة ، ولكنها جميعها متفقة فى التفكير ، متجانسة فى الحديث عن الآلهة ، بل هى كلها مهداة إلى الآلهة ماعدا ثلاثة من أقصرها ، أحدها موجه إلى هيركليس ، والاثنان الآخران موجهان إلى « كستور » و « پوليدُكليس » التوءمين شقيقى هيلينيه وإليك موجز أهم هذه النشائد :

١ ـ نشيد إلى أپولون فى ديلوس « وهو رقم (١) فى المجموعة »

يُعتبر هذا النشيد أرقى تلك المجموعة وأكثرها حظاً من الرشاقة والجمال . والغاية التى قصد إليها المؤلف من إنشائه هو تمجيد أحد أعياد جزيرة ديلوس وتسجيل مولد أپولون فيها . ومجمله أن المؤلف يتغنى بحياة أپولون بن زوس ، وليتو ، ذات الشعر الجميل . (انظر الصورة رقم ٢٤ فى الصفحة الآتية) فينبئنا بأن زوس بعد أن يجتمع بهذه الإلاهة الفاتنة يعلن فى الملأ أن هذ الاجتماع سينتج منه له ابن يدعى أپولون رامى السهام ، وأنه سيكون جباراً يروع كل من يعاديه ، فلا تكاد الجزائر تسمع هذا النبأ حتى تبادر إلى طرد ليتو من فوق أرضها . لكى لا تجنى على نفسها بوجود هذا الإلاه القاسى فيها ، فتظل هـذه الإلاهة شريدة طريدة لا تحل فى مكان حتى يسرع أهله إلى إقصائها عنه . ولا تزال كذلك حتى تنزل بجزيرة ديلوس شبه القاحلة فتطلب إليهـا أن تؤويها حتى تضع حملها فتجاوبها الجزيرة بهذه العبارات :

« ليتو يا أشهر بنات كيوس العظيم أنا أتقبل بامتنان نسلك الملكى ذا القوس ، لأننى سيئة الشهرة بين بنى الإنسان ، وبهذا سأصير أكثر شرفاً ، ولكننى أخشى ما يقال يا ليتو ، ولن أخفى عليك ذلك . يقال : إن أپولون يجب أن يكون متكبراً ، وسيكون محوفاً بين الآلهة والأناسى فوق الأرض الخصبة . ولهذا أنا أخشى فى عقلى وقلبى أنه بمجرد ما يرى ضوء هِلْيوس (الشمس) يحتقرنى لأننى أرض قاحلة ويركلنى بقدميه ، فيدفعنى فى البحر العميق حيث المياه العظيمة المليئة بالعنف تغرقنى إلى الأبد . وإذ ذاك ينصرف نحو أرض

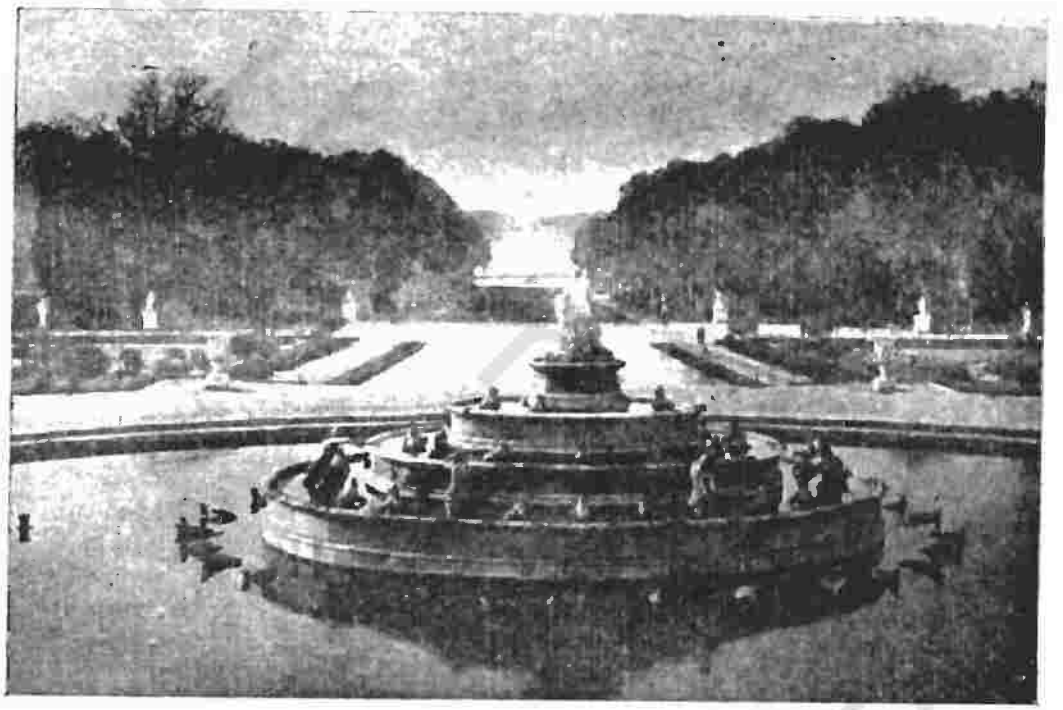

[الصورة رقم ٢٤ مأخوذة عن تمثل رخامى تبرز قاعدته من أحد أحواض المياه فى حديقة قصر ڤرساى بفرنسا وهى تمثل الإلاهة الصغيرة ليتو ومعها ولداها أپولون وأرتيميس اللذان أنجبتهما من زوس ، ويدعى هذا الحوض منذ أن أسس بحوض ليتو] .

أخرى تروقه أكثر منى حيث يبنى له فيها معبد فى غابة مقدسة ذات أشجار كثيفة . . . . لكن أنت ستطمئنيننى أيتها الإلاهة لو تقسمين لى القسم العظيم أنه سيشيد هنا معبده الأعظم الذى سيكون فيه وحى الأناسى ، جميع الأناسى لأنه سيكون مشهوراً »[1] .

(1) Hymnes Homériques, traduction Leconte de Lisle, ds Odyssée, p. 359.

وعلى أثر ذلك تتعهد لها الإلاهة بما تريد ثم تلقى عصا التسيار فوق أرضها وتظل تنتظر اليوم المشهود . وعند ما يحين هذا اليوم يجتمع حولها لمشاهدة الموضع عدد من الإلاهات مثل : « ديونيه » و « رِهْيا » و « ثيميس تابعة الآثار » و « أنفِتْرتيه الرنانة » وكل الإلاهات إلا هيريه ذات الذراعين البيضاوين ، التى كانت جالسة فى دار زوس جامع السحب[1] .

وبعد هذا يصور لنا المؤلف مولد أپولون فيقدم إلينا لوحة فاتنة للإلاهات اللواتى يُحْدِقْن بالوليد فَيُحْمِمْنَهُ ويدثرنه فى ملابس بيضاء خفيفة جميلة ثم تسقيه ثيميس من شراب الآلهة وتطعمه من طعامهم حتى لا يدخل إلى جوفه طعام وشراب البشر الفانين . وعلى الفور « كان » فيبوس أپولون إلاه الشمس ذو التروس الطويلة والسهام السريعة يسير على الأرض الواسعة ، وكانت جميع الإلاهات ينظرن إليه وقد تملكهن الإعجاب . وفى الحال تدثرت جزيرة ديلوس كلها بزهور ذهبية كما تتدثر قمة الجبل فى فصل الربيع بزهورها تحت تاج من الغابات[2] (انظر الصورة رقم ٢٥ فى صفحة ٢٢٤) .

وأخيراً يحدثنا المؤلف بعد ذلك عن عيد أپولون فى ديلوس الذى أسلفنا لك أنه كان أحد غايتيه من إنشاء هذه القصيدة فيروى لنا أن الإيونيين يفدون إليه من كل حدب ليشاهدوا ويسمعوا رقص وغناء الجوقة التى يعتمد عليها شاعرنا فى تخليد اسمه ، ويختتم قصيدته بالتوجه إليها فى هذه العبارات :

« كن سعيدات جميعاً وتذكرنى فى المستقبل حينما سيجىء إليكن بعض الغرباء من مسافة بعيدة وقد أضناه التعب فيسألكن قائلاً : أيتها الفيتات أى شعرائكن أحب إليكن ؟ وأيهم ذلك الذى يسحركن أكثر من غيره ، عند ذلك كن جميعاً على اتفاق فى ردكن عليه بهذه العبارة العذبة : هو شاعر أعمى يقطن جزيرة خيوس الصخرية ، وستظل نشائدُه مستمتعة بالشهرة فى المستقبل[3] .

---

(1) Même ouvrage, p. 360.

(2) Même ouvrage, p. 361 .

(٣) أنظر البيت رقم ١٦٦ ومابعده من نشيد إلى أپولون الديلوسى .

لا ريب أن هذا البيت الأخير هو الذى خدع القدماء وجعلهم يعزون هذه القصيدة إلى هوميروس ، لأن هذا الأخير كان أعمى وكان من جزيرة خيوس على نحو ما حدثنا عن نفسه . وليس أدل على زيف تلك النسبة من هذا البيت الذى أتى به ذلك الناحل الساذج ليصحح به دعواه ، فكان حجة عليه لا له ، لأن عهدنا بهوميروس أنه متواضع لا يتباهى بشعره ولا يفرض شهرته على الأجيال المقبلة كما يفعل شاعرنا الزائف ، ولعله — كما يرى الأستاذ بيرون — أحد تلاميذ هوميروس ، وقد أراد أن يمجد أستاذه ووطنه بهذا اللون من التباهى ولم يكن دقيقاً فى استكناهه حقيقة ذلك الأستاذ الجليل الذى توازت عظمته مع تواضعه فتضافرا على إبلاغه مرتبة الخلود .

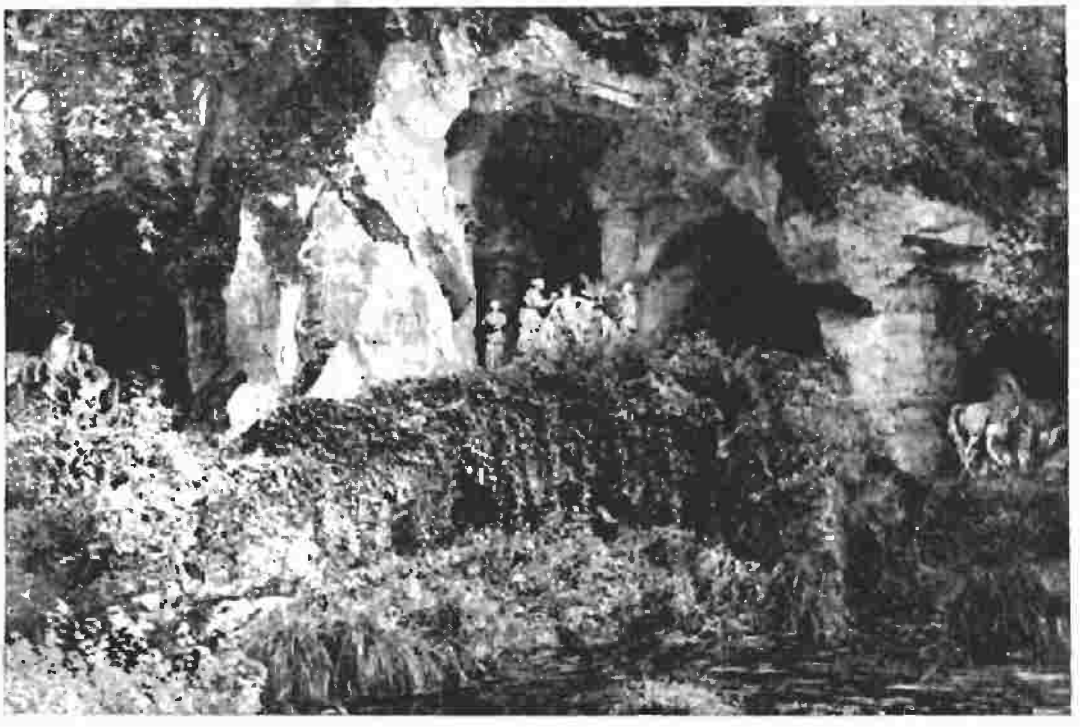

[ألصورة رقم ٢٥ مأخوذة عن منظر أحد جوانب حديقة قصر ڤرساى ، وهى تمثل صخوراً قائمة عند أحد مداخل القصر البحرى الذى كان أپولون يستجم فيه كل مساء بعد أن ينتهى من مهمة إضاءة الأرض ، ويرى فى الصورة أپولون محوطاً بست من بنات البحر يقمن بخدمته وبتعطيره ، وكلهن تماثيل رخمية كالإلاه . وترى كذلك جياد مركبة أپولون تستريح فى أسفل الصخرة] .

٢ ـ نشيد إلى أپولون فى پيثو (وهو رقم ٢ فى المجموعة)

يتابع مؤلف هذه القصيدة السلسلة التى بدأها مؤلف القصيدة السابقة ، فيحدثنا أن أپولون يصعد من جزيرة ديلوس إلى الأولمپوس فَيُسْتَقْبل فى منزل والده زوس استقبالاً حافلاً ، ثم يعين رئيساً على أخواته عرائس الشعر ، فيسر الآلهة بإرقاصه أمامهم إلاهات الرشاقة والساعات السعيدة ، وأفروديتيه وشقيقته أرتيميس الفرحة بسهامها ، ثم ينزل بعد ذلك من الأولمپوس و يطوف جهات الهيلين جهة بعد جهة ، ليبحث عن مكان يقيم لنفسه فيه معبداً . وفى أثناء سيره يمر بنبع الإلاهة دلفوسيه فيروقه ذلك المكان فيميل إلى تأسيس معبده فيه ، ولكن إلاهة النبع ـ وهى إحدى عرائس البحر ـ لا تريد أن يطغى اسم أپولون على اسمها فيخفته ، و إذ ذاك تضلله وتتظاهر بأنها تنصحه فتدله على مكان ملائم فى سفح جبل البرناسوس ، والغاية التى تهدف إليها من وراء هذا الإضلال هى أن يلقى أپولون حتفه فى هذا الموضع الرهيب الخطر الذى لا يتجه إليه أحد حتى يقضى نحبه فى الحال .

وعند ما يصل أپولون إلى هذا المكان يجد كائنين بشعين لا عمل لهما إلا أذى بنى الإنسان ، أولهما تنينة فظيعة ، وثانيهما تيفاؤون بن هيريه الذى وكلت أمه أمره قصداً إلى هذه التنينة لتطعمه من لبنها حتى ينشأ قوياً جباراً فتدخره للانتصار به على زوجها زوس إذا دعت الضرورة إلى ذلك .

وهنا يهجر المؤلف القصة آونة ليقفنا على منشأ هذا الكائن المزعج ، فيروى لنا أن هيريه لا تكاد ترى زوس ينجب أثينيه منفرداً ،وتلاحظ أنها أخفقت فى إنجاب هيفيستوس حتى تثور ثائرتها ، وتأكل الغيرة ذبالة فؤادها وتهتف فى جمعية الآلهة قائلة :

« استمعوا إلىَّ جميعاً أيها الآلهة وأنتن أيتها الإلاهات : ما دام أن زوس جامع السحب هو الذى بدأ بتقديم الإهانة إلىَّ أنا التى اتخذنى زوجاً له فأنجب بدونى أثينيه ذات العينين

الزرقاوين التى هى جد ماجدة بين جميع الآلهة السعداء ، على حين أن ابنى هيفِستوس الذى ولدته أنا بنفسى ضعيف وقدماه ملتويتـان ، لأن زوس قبض عليه بيديه وألقاه فى البحر الواسع ، ولـكن ابنة نِرْيوس ثيتيس ذات القدمين الفضيتين تلقته وأحضرته إلى أخواتها . وأنت أيها المشئوم المفعم بالحيل كان الواجب يقضى عليك أن تكون على حالة أخرى لترضى الآلهة . والآن ماذا تبيت أيضاً ؟ كيف جرؤت على أن تنجب وحدك أثينيه ذات العينين الزرقاوين ؟ هل أنا لم أعد أستطيع الولادة بعد ؟ أنا التى دعيت مع ذلك زوجتك بين الآلهة. والآن أنا أريد أن أحاول شيئاً آخر لـكى ألد ابناً يسود بين الآلهة دون أن ألوث سريرك ولا سريرى[1] » .

بيد أن هذه الإلاهة الهائجة لا تكاد تنجب منفردة ابنها الثانى تيفاؤون حتى تلفيه أشد قبحاً وأكثر دمامة وتشوهاً من الأول فلا يسعها إلا أن تقصيه عن الأولمپوس إلى سفح جبل البرناسوس وتكل حراسته إلى تلك التنينة المؤذية .

يعود المؤلف بعد هذه الاستطرادة الشيقة إلى متابعة قصته فيروى لنا أن أپولون عند ما يقع نظره على هذه التنينة يصوب إليها سهامه الذهبية فيرديها قتيلة .

ومنذ ذلك اليوم يسمى هذا المكان : پيثو ، وينتسب إليه ، أپولون ، فيطلق عليه اسم ، أپولون البيثووى ، ثم يأمر بالبدء فى إقامة معبد له هناك ، ويرجع هو لمعاقبة النبع الذى كان قد ضلله ، وعند ما يصل إليه يضع فوقه صخرة عظيمة ، يبنى عليهـا لنفسه معبداً آخر ثم يرتحل بعد ذلك ليبحث عن سدنة لمعبده الأول الذى أمر بتشييده فى ، پيثو ، فيعثر فوق صفحة البحر على قوم من جزيرة كريت التى اشتهر أهلها بالتقوى والمهارة فى تقديم القرابين والضحايا وخدمة الآلهة عامة ، ولـكنه لـكى يقود سفينتهم إلى حيث يوجد معبده يتشكل بشكل دلفين[2] ويقود السفينة بركابها إلى سفح البرناسوس ، وهناك يسترد صورته الحقيقية ويظهر لهم رأى العين ويوضح لهم أنه قد قدر لهم أن يكونوا كهنة معبده ويبين لهم ما يجب

(1) Hymnes Homériques, trad. Leconte de Lisle, ds vol L' Odyssée, p 366.

(٢) دلفين هى سمكة كبيرة ، وقد حرف اسمها الإغريقى فتنطق بالعربية درفيل .

عليهم عمله و يفهمهم أن هذا المعبد سيسمى منذ ذلك اليوم بمعبد ذلفيه وهو اسم السمكة التى تشكل بشكلها لقيادة سفينتهم إلى هذا المكان و يبشرهم بأنهم سيصبحون أنبياء وعرافين وستظهر

[ألصورة رقم ٢٦ مأخوذة عن المنظر الواقعى لموضعها من الجبل ، وهى تمثل ما بقى إلى الآن من أطلال معبد ذلفيه ومسرحه الذى بنى بعد تشييد المعبد بزمن غير قصير]

على أيديهم نبوءات عظيمة بالمستقبل ، و بأنهم من أجل هذا سيكونون موضع إجلال الناس جميعاً .

و يعلق النقاد المحدثون على هذه القصيدة بأنها أقل سمواً ورشاقة وأنزل مستوى فى الأسلوب والنهج القصصى من سالفتها مما يدل على أن مؤلفها لم يكن له من العبقرية والموهبة مثل حظ صاحبه منهما ، ومع ذلك فإن القدماء كانوا يلحقون الثانية بالأولى و يعتبرونهما قصيدة واحدة . ولا يزال بعض النقاد المحدثين يعتنقون هذا الرأى ، وعذرهم فى ذلك واضح وهو أن الثانية تبدأ بعد انتهاء الأولى بهيئة طبيعية كأنها تكميل لها ، ولكن فريقاً آخر من النقاد قد فصلوهما معتمدين على تباينهما فى الأسلوب والخيال والروح القصصى والنهج ، و برهنوا على أن المؤلف الأول أقرب إلى هوميروس ، والثانى ألصق بهزيودوس .

٣ ـ نشيد إلى هِرْميس (وهو رقم ٣ فى المجموعة)

يتغنى الشاعر فى هذا النشيد بتاريخ مولد هِرْميس رسول الآلهة ونشأته ومواهبه وصفاته ، فيحدثنا أن زوس وإحدى صغيرات الإلاهات تدعى مايًا[1] ، ينجبانه ويكون ذلك فى كهف مظلم حتى لا ترى ، هيريه ، خفة زوجها وخيانته .

وإذ تضعه أمه تظهر عليه فى الحال الدقة والفصاحة والقدرة على قيادة الأحلام والرؤى وإرسالها إلى من شاء متى شاء ، ولكنه فى الحال أيضاً يظهر عليه الميل إلى اللصوصية .

يولد فى الصباح فلا يأتى الظهر حتى يعثر على سلحفاة فيخطر له أنها لازمة لموسيقاه التى يهيم بها فيقتلها ويصنع من ظهرها القيثارة الأولى التى يظل يغنى عليها حتى يسمو بالموسيقى إلى درجة الكمال . وعلى أثر ذلك يهجر الكهف ويجول فى الجبال والوديان . وعند غروب الشمس يتجه إلى الجبل الذى تقيم عليه ثيران الآلهة فيسرق منها خمسين ثوراً وبقرة هى ملك لأبولون رامى السهام ، ولكنه يستخدم لإخفاء هذه السرقة حيلة غريبة ، إذ يجعل الثيران تسير إلى الخلف أى بعكس سيرها الطبيعى حتى يخفى معالم آثار أظلافها .

وبعد أن يتم هذه المهمة يعود إلى الكهف فيزمل نفسه فى لفافات الأطفال وينام فى المهد نومة الطفل النقى البرىء الذى لا يعرف من آثام الحياة كبيراً ولا صغيراً .

وفى صباح اليوم التالى يفتقد أبولون ثيرانه فلا يجدها فيقوم بتحقيق فى مصيرها فينبئه أحد الشيوخ بأنه رأى طفلاً يدفع قطيعاً ويسيره تسييراً منعكساً . وعلى أثر سماع أبولون هذا الوصف يرتاب فى الأمر ويتجه توًّا إلى كهف مايًا فيرى الطفل نائماً فى المهد فيسأله عن الثيران فينكر ويحتج بشدة قائلاً :

« يا بن ليتو ، أى كلام جاف ذلك الذى توجهه إلىَّ ؟ لماذا أنت جئت إلى هنا تبحث عن أبقارك ؟ إنى لم أر شيئاً ولم أعلم شيئاً ولم أسمع أى حديث عنها ، ولا أستطيع أن

(١) مايا هى ابنة أتلاس بن يابيتوس ، وهو أحد التيتانوس .

أقول لك عنها شيئاً ، و بالتالى لست أنا الذى سأربح مكافأة العثور عليها . أنا لا أشبه رجلاً قوياً قديراً على سرقة الأبقار ، وليس هذا عملى ، وعندى هموم أخرى ، فأنا أنشغل بالنوم و بلبن والدتى و بوضع اللفافات حول كتفى ، و بالاستحمام بالماء الفاتر . إحذر أن يسمعك أحد وأن يتبين سبب هذا النزاع فإنه سيكون من الأمور الخارقة للعادة بين الآلهة أن يقال : إن طفلاً حديث الولادة سرق ثيراناً . أنت تتحدث الآن كالمعتوهين ، فأنا ولدت أمس ، وقدماى رقيقتان ، والأرض خشنة »[1] .

ولكن أپولون لا تنطلى عليه هذه الحيلة ولا يصغى لشىء مما يقول و يظل مصماً على اتهامه إياه فيقتاده إلى والده و يقص عليه الحادثة و يروى له ما أنبأه به الشيخ فيصر ، هِرْميس على إنكاره ، غير أن زوس الذى يعلم الحقيقة يسر من لباقة هذا الإلاه الوليد وذكائه[2] ، فيحرص على أن يزيل سوء التفاهم الذى وجد بينه و بين أپولون فيأمر بأن ترد الثيران والأبقار إلى صاحبها . ولما كان هرميس قد ذبح منها اثنين فإنه يهدى إلى أپولون قيثارة السلحفاة و يعلمه التوقيع عليها فيسر بذلك سروراً عظيماً و يستقسمه ألا يعود إلى السرقة بعد الآن ، فيقسم له . و بهذا يصبح صديقاً له و يكل إليه رعاية جميع ثيرانه .

٤ ـ نشيد إلى أفروديتيه (وهو رقم ٤ فى المجموعة) :

يترنم المؤلف فى هذا النشيد بجمال أفروديتيه وسحرها ، وهيام جميع الآلهة بها ، و يحدثنا بأن حسنها لا يقف عند حد فتنة الآلهة ، بل إنه يفتن الإلاهات أيضاً و يخضع كل من يراها من آلهة وأناسى إلا ثلاث إلاهات هن : ، أثينيه ، و ، أرتيميس ، و ، إستييه ، شقيقة زوس :

---

(1) Hymnes Homériques, trad. Leconte de Lisle, ds L' Odyssée, p. 380 - 381

(٢) ومنذ ذلك العهد يعينه زوس إلاهاً للصوص والتجار لاحتياج كل من هاتين الطائفتين إلى الحيلة ، والخداع ولقرب كل منهما من الأخرى فى نظر الهيلين .

(وفى الحق أن أثينيه لم تكن أعمال أفروديتيه تنال عندها شيئاً من الحظوة أو الاحترام ، لأنها لم تكن تعجب إلا بالأعمال الجدية كالحرب وصنع عربات القتال ، وحمل الأثقال عند الرجال ، وكالنسج والحياكة وما شاكلهما عند النساء .

وكذلك ، أرتيميس ، كانت لا يروقها إلا الصيد وإجادة الرماية بالسهام ، وإلا الرقص مع حاشيتها من صغيرات الإلاهات فى الغابات المظلمة أو النزول فى مدن اشتهر أصحابها بالاستقامة والعدالة .

أما ، إستييه أخت زوس فيسكنى أن نقول فى تعريفها إنها أقسمت بأكبر الأيمان لتمكثن أبد الدهر عذراء ، وقد أجيب سؤلها فى هذا . ولا ريب أن هذه الأخلاق الجدية التى اشتهر بها هؤلاء الإلاهات الثلاث تتعارض تماماً مع أعمال أفروديتيه ، فكان من الطبيعى ألا تروق هذه الإلاهة الخليعة أية واحدة منهن) .

لا يستطيع أحد النجاة من هوى ، أفروديتيه ، إلا هؤلاء الإلاهات الثلاث كما قدمنا . أما الباقون فكانت تخضعهم لسلطان الجنون متى شاءت وكيف شاءت حتى زوس نفسه ترغمه مراراً على الوقوع فى أشراك جمال بعض النساء الفانيات خفية من هيريه أخته وزوجته الشرعية التى كانت تعد فى طليعة جميلات الإلاهات ، وكان زوس يشعر بذلك الإغواء بعد أن يفيق من غفلته فينجرح فى كبريائه ولا يأمن أن أفروديتيه ستسخر منه يوماً ، لانحطاطه ونزوله إلى مستوى النساء الفانيات فيريد أن يتقى هذه السخرية المنتظرة فيلهمها هو الآخر بدوره أن تشتهى رجلاً من بنى الإنسان حتى لا تستطيع أن تأخذ عليه ما تهوى فى مثله . وسرعان ما تعشق راعياً جميلاً من رعاة تروادة يدعى أنخيسيس ، كان فوق جبل ، إيدا ، فتظهر له فى صورة فتاة جميلة فى ثياب فاخرة فيروع الراعى منها ويقول لها : إن كنت إلاهة فأنبئينا باسمك ، لنبنى لك معبداً هنا ، فترى أنها لو أطلعته على حقيقتها لرفض أن يحقق لها رغبة هواها رعباً وفرقاً ، فتخترع له قصة كاذبة تتلخص فى أنها إنسانة وأنها كانت فى تروادة ، وأن ، هرميس ، قد اختطفها ثم أحضرها إلى هنا معيناً لها الرجل الذى

سيظفر بها ، وهو ، أنخيسيس ، ولا يرتاب هذا الراعى فى صحة القصة فيتغشاها وتنام إلى جانبه حتى الصباح . وعندما يستيقظان تعود إلى صورتها الحقيقية وتنبئه باسمها وتخبره بأن رواية الأمس كانت كاذبة فيرتاع الرجل ويضطرب ، ولكنها تطمئنه وتؤكد له أنه لا تثريب عليه ، وأنها قد حملت منه بغلام وأنها ستسلمه إليه عندما تضعه وسيدعى ، إنْياس ، وأنه سيكون من أشهر سكان تروادة على شرط أنه لا ينبىء أحداً بما حدث ولا يطلع أيا كان على حقيقة والدة هذا الطفل ، وإذا خالف هذا الشرط وباح بالسر ، فإن زوس سيصعقه .

ونحن نحسب أنه ينبغى عزو هذا النشيد إلى أحد تلاميذ هوميروس المحافظين على مبادئه لأن مؤلفه لم يحد قيد أنملة عما أثر عن مؤلف الإلياذة فيما يتعلق بعنصر إنياس الذى نشأ من غرام أفروديتيه بأحد رعاة منطقة إيدا ثم صار أميراً .

ويميل بعض النقاد المحدثين إلى عزوه إلى شاعر متملق أراد أن يتزلف إلى أحد أمراء منطقة « إيدا » فزعم أن هذه المنطقة قد تشرفت بالعنصر الإلاهى . ومهما يكن من شىء فلا يمكننا تعيين الزمن الذى ألف فيه هذا النشيد وإن كنا نلاحظ أنه يمتاز بسهولة الأسلوب وخصوبة العبارات .

٥ ـ نشيد آخر إلى أفروديتيه (وهو رقم ٥ فى المجموعة) :

يروى لنا المؤلف فى هذا النشيد القصير كيف توجد أفروديتيه بلا أب ولا أم فيحدثنا أنها تنشأ من زبد البحر فيلتقطها إلاهات الساعات السعيدة ، وإذ يرين هذا الجمال الساحر الذى تتمتع به يزيّنها بفاخر الحلى ويصطحبنها إلى مقر الآلهة ، فلا يكاد هؤلاء يرونها حتى يفتتنوا بها جميعاً ويشتهى كل واحد منهم أن تكون له زوجاً .

٦ ـ نشيد إلى ديمتير (وهو رقم ٣٤ فى المجموعة) :

يعتبر هذا النشيد من أرشق نشائد هذه المجموعة ويروى لنا المؤلف فيه حديث ، ديمتير ، إلاهة الحصاد ، ومانحة الخصوبة والرخاء ، فينبئنا بأن هذه الإلاهة كانت لها ابنة وحيدة جميلة تدعى « پرسيفُنيا » ، وأنها كانت فى يوم من الأيام تقطف زهراً من أحد المروج ، وإنها لكذلك إذ يراها هاديس المظلم شقيق زوس و إلاه الجحيم فيفتتن بها افتتاناً شديداً . ولكى تتقدم غايًا إلى هذا الإلاه الطموح بمعونة تسهل له الاستيلاء على هذه المحبوبة الجميلة ، تنبت لها فى الحال زهرة نرجس فتسر بها سروراً عظيماً وتهم باقتطافها . و بينما هى على هذه الحالة ، إذ يشق ، هاديس ، الأرض و يحملها على مركبة و يسير بها إلى مملكة الموتى دون أن يرق لصياحها وعويلها (انظر الصورتين رقم ٢٧ ورقم ٢٨ فى الصفحة الآتية) ولا يراها إلا الإلاهان هليوس[١] ، و ، هيكاتيه[٢] . وإذ تفتقد ، ديميتير ، ابنتها لا تجدها فيستولى اليأس على قلبها وتظل تبحث عنها تسعة أيام كاملة دون أن تذوق طعاماً . و بعد هذه الأيام التسعة ينبئها ، هليوس ، بما حدث ويحاول أن يهدئها ولكن آلامها تتضاعف فتغادر الأولمپوس وتنزل إلى الأرض ، لتعيش بين بنى الإنسان مخفية جمالها تحت ملامح امرأة عجوز ، فتتجه إلى مدينة ، إيلوسيس ، بالقرب من أثينا ، فيستقبلها ملكها وملكتها استقبالاً حسناً ويكلان إليها تربية طفلهما فتريد أن تمنحه الخلود وتتخذ لذلك وسيلة تداوم على سلوكها فى كل ليلة وهى أن تضع الطفل فوق النار بطريقة حكيمة ، أو أن تلفه فى قوة النار على حد تعبير الشاعر . وفى احدى الليالى تفاجئها والدة الطفل وهى على هذه الحالة فتنزعج وتصرخ مولولة ، فلا يكون من الإلاهة إلا أن تستشيط غضباً وتعلن غايتها النبيلة التى كانت تبغى إيصال الطفل إليها ، والتى هى الآن بعد صراخ والدته مستحيلة ثم تهتف قائلة :

(١ و ٢) هليوس هو إلاه الشمس فى أقدم الأساطير قبل أيلولة هذه السلطة إلى أپولون . وهيكاتيه هى إلاهة قمرية بدائية قبل إسناد هذا الاختصاص إلى أرتيميس .

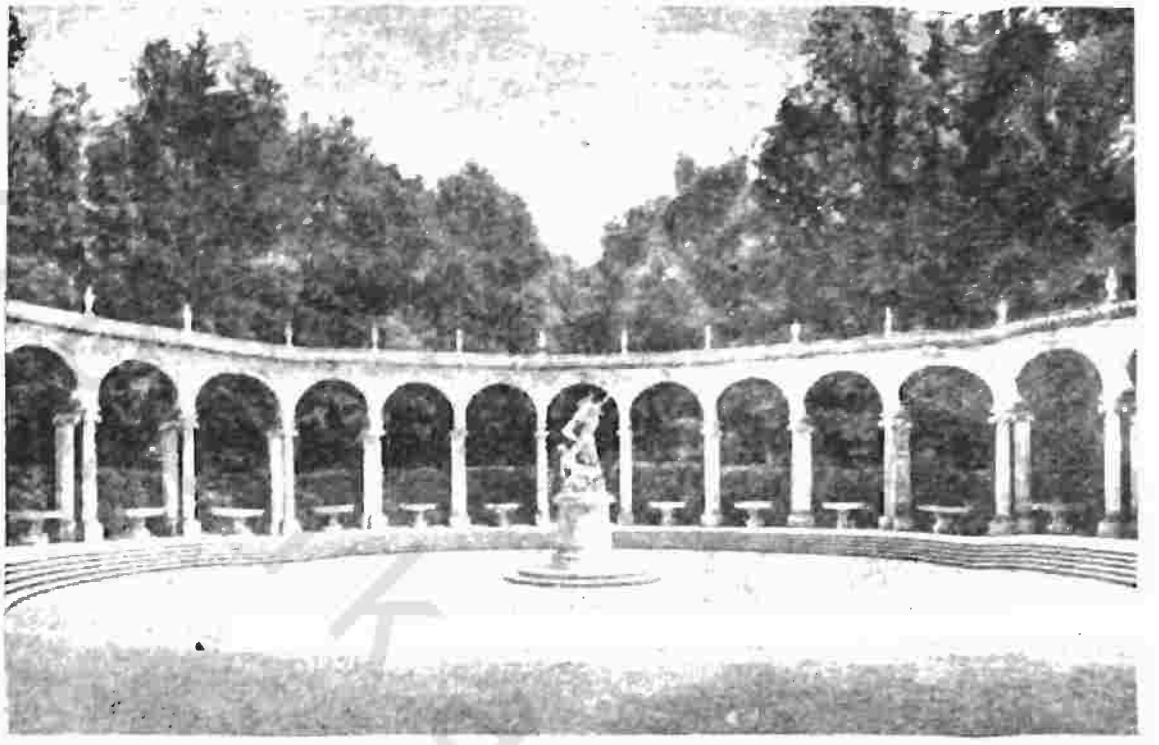

[الصورة رقم ٢٧ مأخوذة عن جانب من جوانب حديقة قصر ڤرساى يدعى بالكلوناد ، وهى دائرة من الأعمدة ، وفى وسطها يرى هاديس إلاه الجحيم وقد اختطف پرسيفنيا ابنة ديمتير وحملها بين ذراعيه] .

[الصورة رقم ٢٨ مأخوذة عن رسم للفنان الفرنسى نوتور أخذه بدوره عن وعاء هيلينى يوجد بمجموعة هوب بمدينة دبدين بانجلترا ، وهى تمثل هاديس وقد ظفر بپرسيفنيا وأصعدها قسرا بإرادتها إلى مركبته ولم يرق لإحداهما وعويلها] .

« أيها الأناسى الجهلاء ، بل المأفونون غير القادرين على التنبؤ بالخير ولا بالشر ، وأنتِ ! لقد اقترفت خطأً جسيماً بهذا الجنون الذى بدا من جانبك لأنى ـ وأُقسم بإستِكْس الذى لا يرحم ، وإنه لقسم يقهر الآلهة ـ كنت عازمة على أن أجعل ابنك العزيز فى مأمن من الشيخوخة وأن أصيره غير قابل للفناء ، وأن أغمره فى مفاخر لا تتناهى ، ولكن الآن لم يعد مسموحاً له بأن ينجو من الموت أو أن يفر من المصير الأسود ، ومع ذلك فسيظل طول حياته ماجداً مبجلاً لأنه جلس على ركبتىّ ، ونام بين ذراعىّ ، ولكنى أنبئكم بأن أهل إيلوسيس بعد انقضاء عهد هذا الوليد ، وبعد مرور سنوات عدة سيكونون إلى الأبد فى حرب داخلية طاحنة . أما أنا فإننى ديمتير الممجدة ، وإننى المرَحُ والثراء الأعظم للآلهة والفانين ، ولكن ما علينا من هذا كله ، فليشترك جميع الشعب فى بناء معبد ضخم لى وفى تأسيس مذبح فى داخل هذا المعبد ، وأن يكون هذا إلى جانب سور المدينة . . . وفى مقابل ذلك سأكشف لكم أنا نفسى عن أسرارى لكى تقدموا إلىّ الضحايا فى المستقبل فتهدئوا بذلك سخط نفسى[1] » .

وعلى أثر هذا تنتزع الإلاهة تلك الصورة الزائفة وتقذف بالشيخوخة عرض الأفق ، وتستعيد صورتها الحقيقية ، فيتنفس الجمال من حولها ، وتتضوع العطور الرقيقة من معطفها ، وينبجس النور من ذلك الجسم الأبدى ، ويتموج شعرها الذهبى فوق كتفيها ، وتملأ القصر أشعة خاطفة كأنها الصاعقة . وعلى الفور تغادر ديمتير المكان لا تلوى على شىء مما حولها . وإذ ذاك لا يسع أهل مدينة إيلوسيس إلا أن يلبوا هذه الرغبة فيؤسسوا ذلك المعبد .

بيد أن ديمتير لما كانت لا تزال حانقة على جميع الآلهة والأناسى ، فإنها تنكب هؤلاء الأخيرين بسنة قاحلة تخفى فيها البذور فلا تنبت الأرض شيئاً ، وبهذا يصبح بنو البشر جميعاً مهددين بالموت ، فيقلق ذلك زوس ويروعه ، فيبعث إليها إيريس ذات الأجنحة الذهبية لتهدئ من حدتها ، ولكنها تقسم بأعظم الأيمان أنها لن تصعد إلى الأولمپوس ولن تدع

---

[1] Les Hymnes Homériques, trad. Leconte de Lisle, p.424.

شيئاً ينبت فى الأرض قبل أن ترى ابنتها ذات العينين الجميلتين ، فلا يملك زوس إلا أن يرسل هرميس إلى أخيه هاديس ليوافق على أن يدع برسيفُنيا تعود إلى عالم النور ، فلا يجد إلاه الموتى بداً من الإذعان إلى هذه الرسالة ، ولكنه يطعمها قبل فراقها إياه نوعاً من الرمان يشتمل على سر قهرها على العودة إليه . وهكذا ترى ديمتير ابنتها من جديد فيكون سرورهما بهذا اللقاء عظيماً . وحينئذ يصمم زوس على أن تبقى برسيفُنيا ثلثى السنة مع والدتها، والثلث الباقى فى مملكة الموتى مع زوجها ، فتهدأ الإلاهة وتعيد الخصوبة إلى الأرض فتتحلى بالزهور والأوراق من جديد ، وليس هذا فحسب ، بل تتفضل على البشر فتكشف لهم قبل صعودها إلى الأولمپوس عن السر الهائل الذى وعدت به أهل مدينة إيلوسيس . ولهذا تظل محبوبة ممجدة من جميع بنى الإنسان .

لم يكشف عالم الأدب الحديث هذه الأنشودة إلا فى سنة ١٧٨٠ ، وقد انعقد إجماع النقاد منذ دراستهم إياها على أنها أنفس هذه المجموعة على الإطلاق ، وأنها متقنة الصناعة ، جيدة الصياغة ، واضحة المعانى ، عميقة المرامى ، تهدف إلى جانب خطير من جوانب الديانة الهيلينية ، فالمؤلف قد رسم لنا فيها لوحة فاتنة شاملة وضع فى وسطها صورة بارزة مجسمة للألم الأموى الذى يتفجر لهيبه من قلب الوالدة الرءوم حين تثكل فلذة كبدها، وللوعة هذه الوالدة التى يلهبها الحب ويضنيها الحنان والتى يذكيها اليأس تارة حين يتغلب ، ويضعفها الأمل تارة أخرى حين يتلألأ بريقه الخلاب ، أو يلوح بصيصه الساحر ولو كان من سراب .

ولقد أحاط المؤلف هذه الآلام بمناظر ساحرة للأسرار الغيبية وما يخفيها عن عقول البشر من ظواهر الأستار الكونية ولا سيما سر إيلوسيس التى فازت فى العالم القديم بشهرة عظيمة كان لها فى الدين الهيلينى عامة وفى طائفة الأرفية خاصة أثر فعال. وهذه الأخيرة قد أثرت بدورها فى المدرسة الفيثاغورية تأثيراً يمنحها قيمة كبرى .

وفوق هذا فقد زج شاعرنا فيما بين ذلك بطائفة من التقاليد القديمة وشرذمة من الطقوس الموروثة التى قامت فيما بعد لدى النقاد المحدثين كبراهين ناصعة على نشأة هذه الأنشودة فى المنطقة الأثينية . ويرجع الباحثون منشأها إلى ما قبل القرن السادس بزمن وجيز .

٧ ـ نشيد إلى ذيونيسوس (وهو رقم ٦ فى المجموعة)

لا بد أن يكون نشيد ذيونيسوس إلاه الخمر ـ قبل أن يبتره البلى أو تعدو عليه يد الزمان ـ طويلاً كغيره ، ولكنه لم يبق منه سوى شذرات صغيرة مشوهة تروى لنا احدى حادثات ذلك الإلاه ، ومجملها أنه بينما كان سائراً على شاطئ بحر التيرانى إذ بفريق من القرصان يلمحونه فينقضون عليه انقضاض الصاعقة و يخطفونه ثم يربطون يديه ورجليه ، فتنحل الأربطة وتسقط من تلقاء نفسها إلى جانب قدميه ، فيجلس باسماً ناظراً إليهم بعينيه الزرقاوين نظرة احتقار وازدراء ،

[ألصورة رقم ٢٩ تمثل حوضاً فى أحد جوانب حديقة قصر فرساى يدعى بحوض ذيونيسوس ، ويرى فى هذه الصورة ذيونيسوس إلاه الخمر جالساً فوق صخرة فى وسط الحوض وعلى رأسه تاج من أغصان الكرم وعناقيده] .

وإذ يرى ذلك ربان السفينة يرجح أنه إلاه فيرتاع من هذا العدوان ويهتف برفاقه قائلاً :

« أيها المعاتيه ماذا صنعتم ؟ ومن هذا الإلاه القوى الذى قبضتم عليه وأوثقتموه بالأربطة ؟ ! أيها السفهاء كونوا على يقين من أن سفينتنا لا تقوى على حمله ، إذ أنه لا بد أن يكون زوس أو أپولون ذا القوس الفضية[1] » .

ولكن رئيس القرصان يسخر من رأيه ويحمل ذيونيسوس على السفينة ويأمر بالاستعداد للإبحار فوراً . وعلى أثر ذلك يتحول هذا الأخير إلى أسد يتبعه دب مفزع ثم يزأر زئيراً مروعاً ويقفز إلى رئيس القرصان فينشب أظافره بجسمه ، وإذ ذاك ينزعج رفاقه ويقذفون بأنفسهم إلى البحر ، فيحولهم ديونيسوس إلى دلافين إلا الربان ، فإنه يعطف عليه ويكشف له عن حقيقته ويطمئنه على حياته ويغمره فى السعادة والهناء .

٨ـ نشيد إلى أثينيه (وهو رقم ٢٨ فى المجموعة) :

لم يبق لنا من هذا النشيد إلا نتف صغيرة أو شذرات مبتورة ، وهو يروى لنا كيف أن أثينيه ذات العينين الزرقاوين والقلب الجوح وحامية المدن قد خرجت من رأس زوس مغطاة بأسلحة من ذهب شاهرة حربتها ، وكيف أن السماء والأرض قد اهتزتا عند خروجها اهتزازاً عنيفاً ، وأن الآلهة قد سعدوا جميعاً بوجودها ، ويصور المؤلف هذا فيقول :

« وفى الحال تنبثق إلاهة الحكمة بغتة وفى عنف من ذلك الرأس الأبدى شاهرة حربتها الحادة ، وعند ذلك يهتز الأولمپوس العظيم تحت قفزة الإلاهة ذات العينين الزرقاوين ، وترن الأرض من حوله رنيناً مفزعاً ، ويضطرب البحر قاذفاً بمياهه القانية ، ولكن هذا البحر لا يلبث أن يهدأ ، وكذلك هليوس الماجد بن هيريون لا يلبث هو الآخر أن يقف جياده ذوات الحوافر السريعة إلى أن تنتزع العذراء پالاس أثينيه أسلحتها الإلاهية من فوق كتفيها الأبديتين ، ولقد سعد زوس الحكيم بكل ذلك .

(1) Hymnes Homériques, trad. Leconte de Lisle, ds. vol. L'odyssée, p. 399.

وأخيراً أحييك يا ابنة زوس ذى العاصفة ، وسأذكرك دائما »[1] .

٩ ـ نشائد مختلفة :

يشتمل كل نشيد من هذه النشائد إما على ذكر جزء مقتضب من تاريخ أحد الآلهة وإما على ثناء عاطر على هذا الإله . ومن بين هؤلاء الآلهة الذين ذكروا فى تلك النشائد : زوس ، وأريس ، وهيفِستوس ، وهليوس ، وپوسيذون ، وإستييه ، وهيريه وغيرهم . فمثلاً يحدثنا الشاعر فى النشيد السادس والعشرين أن الذين يروون أن الإله ذيونيسوس إله الخمر ولد فى جزيرة تكسوس أو فى مدينة ثيبا أو فى غيرهما من بلاد الهيلين يكذبون ، وإنما الصحيح ، أنه ولد فوق قمة جبل شاهق إلى جانب نهر إيچپتوس أى النيل .

(ب) قصائد الهجاء

لم يبق لنا من هذه المجموعة الهجائية سوى سبع عشرة قطعة ألفها عدد من الشعراء فى فرص مختلفة ، وهى ترجع كلها إلى أواخر العصر الحاسى ولا تخلو من حسن كما أنها تشتمل على بعض الصور الشعرية الفنية ، ولنأخذ لهذا مثلاً الهجاء الرابع الذى يبدو أن مؤلفه قد سدد فيه سهامه اللاذعة إلى قوم فى مدينة « كيميه » بآسيا الصغرى كان قد نزل عليهم فلم يكرموه ، وقد جاء فى نهايته ما يلى :

« إنى سأحتمل المصير المحتوم الذى قدره عَلَىَّ أحد الآلهة عند مولدى ، وسأتجلد وألقى بقلب صبور عدم تمام الأشياء التى كان الواجب يقضى بأن تتم ، ومع ذلك فأعضائى تشتهى ألا تقيم بعد فى شوارع كيميه ، وقلبى الكبير يدفعنى إلى أن أتجه إلى شعب آخر ولو أنى فاقد القوى » .

---

(1) Hymnes Homériques, trad. Leconte de Lisle, ds vol. L' odyssée, p. 412

(ح) المرجيتيسية

عنون المؤلف قصيدته هذه بهـذا العنوان لأن بطلها الأساسى يدعى ، مرجيتيس ؛ ولما كانت هذه القصيدة قد فقدت جميعها فإننا لا نعرف شيئاً عن موضوعها ولا عن غايتها بالضبط ، و إنما كل الذى نعرفه فى هذا الشأن هو أن بطلها مارجيتيس كان غاية فى الحمق والسفه وسوء التدبير ، لا يأتى عملاً إلا ليجعل نفسه أضحوكة الضاحكين وأهزوءة الهازئين ولا يباشر أمراً إلا ليخفق فيه و يعود منه صفر اليدين خائب الأمل. وقصارى القول أنه كان لا يصلح لأى شأن من شؤون الحياة . ويرجع الفضل فى تعريفنا بهذه الشخصية التى تمثل الجانب الأدنى من الحيـاة إلى أفلاطون وأرسطو حيث قال عنها الأول فى بيت له ما يلى :

« إنه كان يعرف أن يعمل كثيرا من الأشياء ، ولـكنه لا يعمل أى شى كما ينبغى »[1]

وقال عنها الثانى ما يأتى :

« إن الآلهة لم يخلقوا منه عاملاً للأرض ، ولا حراثاً ، ولا رجلا صالحا لأية مهنة ، و إنه لم يـكن كفئاً لأى شىء »[2] .

صيرث هذه الأوصاف مرجيتيس مثلاً يضرب لـكل شخص يخفق فى أبسط الأعمال و يقصر عن النجاح فى أتفه الأمور . و يظهر أن مؤلف هذه القصيدة قد تعقب طباع أوديسوس وحكمته وتبصره ونجاحه فى كل شىء وقدرته على الفوز فى كل مشروع ثم صور بطله على الطرف المناقض لهذا تماماً ، فجاءت قصيدته لوحة للسخرية أكثر منها لأى شىء آخر . وفى هذا يقول أرسطو :

« إن المرجيتيسية كانت للهازل عين ما كانته الإلياذة والأوديسا للمآسى »[3] .

---

(1) Platon, Alcibiade II, 47.

(٢) انظر الباب السابع من الـكتاب السادس من « الأخلاق إلى نيقوماخوس » .

(3) Aristote, Poétique, Ch. 4

(٤) ألبَتْراخُميوماخيا أو قصيدة الضفادع

تبلغ أبيات هذه القصيدة نحو ثلثمائة بيت يخصصها مؤلفها كلها للهزل والسخرية ، فيحاكى فيها الإلياذة محاكاة سخيفة مقززة لا تخلو من إسفاف ، إذ يستبدل ، أخيلوس ، وأوديسوس ، و ، أجاممنون ، و ، هكتور ، وجنودهم بجيشين من الضفادع والفيران ويشعل لهيب الحرب بينهما ويصور بعض الآلهة يناصرون أول الجيشين ، والبعض الآخر يناصرون الثانى على نحو مايحدث فى الإلياذة تماما . ومن الممكن أن يكون هذا الشاعر المسف قد قصد السخرية بالمثل العليا التى تفيض بها الإلياذة ، أو رمى إلى الاستهزاء بهوميروس ، لأن عقليته الضعيفة قد قصرت عن التطاول إلى علياء ذلك الأدب الرفيع ، شأن كل الذين يطعنون على ما لا يفهمون ، ويسخرون مما لا يتذوقون . وسواء أصح الفرض الأول أم الثانى ، فإن هذا الشاعر قد نزل بنفسه إلى مستوى جدير بالإشفاق أكثر منه بالنقد .

ويعلق الأستاذ كروازيه على هذه القصيدة بما معناه : « لو كان هذا الشاعر يريد أن يسخر من عواطف الأبطال العظيمة لاستطعنا أن نعنى بهذا الإدراك العامى الذى يتعارض مع الانعطاف المثالى ، ولكنه ليس لديه شىء من هذا ، لا هذه الفكرة ولا غيرها ، ولا تخرج قصيدته عن أنها نوع من اللهو محروم نعمة الرشاقة وخفة الروح ، ولا يوجد فيها من ألوان الابتكار إلا الأسماء واختيار أنواع أسلحة المعركة وأما ماعدا ذلك فهو لا يساوى شيئاً ، وإنما هو محاكاة ، بل إن لغة هذه القصيدة نفسها ليست شعرية »[1] .

(1) Croiset , Histoire de la Litt. grecque, t.I, p. 588 .

خاتمة

رأينا أن منتجات العصر الحماسى هى التى كانت تقوم وحدها بتربية الشعب وتثقيفه فى ذلك العهد الفارط ، فالهوميروسيات كانت تتولى قيادة حياته الخلقية نحو السمو ، وتحاول إلحاقها بالمثل العليا ، وترسم له النماذج الفاتنة فى الشجاعة والأمانة والوفاء والغيرية والتضحية والفدائية والتبصر وحسن التدبير والحكمة . وبالإجمال : تصور له البطولة فى أعلى قممها ، وأبهى صورها .

والهزيودوسيات كانت تتولى تهذيب حياته العملية فتصوغ فى أساطير القدماء خير القواعد الاجتماعية ، وتنظم الأفعال الواقعية وتجمعها تحت راية قانون عمرانى تحدد مواده مايجب أن ينهجه الأهلون من أنهاج ويسلكوه من خطط ويقوموا به من أعمال فى كل فصل من فصول السنة ، ومايبغى اتقاؤه وتجنبه . وبالإجمال : كل ماتتطلبه الحياة النشيطة من أمة حية طامحة إلى الكمال .

والتيوغونيا كانت ترسم له هيكل التاريخ الذى فيه ماضيه بخيره وشره ، ليتخذ منه سنادا للحاضر والمستقبل يصور لهما الخير فى لوحة جميلة ساحرة تأخذ بمجامع النفوس ، والشر فى صورة دميمة بشعة تروع العقول وتنفر القلوب . وقصارى القول إن هذا العصر ـ كما يقول الأستاذ كروازيه ـ « قد ملأ الأخيلة بصور عظمى واستحدث فى ماجريات الحياة العامة طائفة هامة من العواطف والأفكار ، وابتدع لهم لهجة رقيقة رشيقة . وبالإجمال : كان كل إنسان يتأثر بالشعر فى ذلك العهد لايفكر إلا بعقل هوميروس ، وهزيودوس ، وكانت القصائد التى عزيت إليهما هى الأدب الوحيد المعروف ، ولم تكن تلك المنتجات إحدى

صور الشعر كما هى عندنا الآن ، وإنما كانت كل الشعر ، وكان الشعر إذ ذاك يشمل التاريخ والأخلاق وكل مبتغيات العقل ، أى كان الناس يعيشون فى القصائد ويتنسمون هواءها . وهكذا عادت المواهب التى أنتجت هذا الشعر فاستعملته فى تنمية نفسها فأصبحت العقول التى تذوقت ، هوميروس ، و ، هزيودوس ، يتغلغل فيها — بسبب هذا التذوق نفسه — النظام والانسجام والجمال والإخلاص والرشاقة والجرأة المتزنة . ولاريب أن النتيجة الحتمية لهذا هى أن الشعر الموسيقى الذى تستحدثه هذه العقليات يكون شبيهاً بها فى تلك المحامد[1] وهذا الشعر الموسيقى هو الذى سنلتقى به فى الجزء الثانى من هذا الكتاب .

(1) Croiset, Même ouvrage, p. 594 - 595

المخطوطات والمطبوعات والتراجم الأساسية

لمنتجات العصر الحماسى

(١) المخطوطات

١ ـ الإلياذة

توجد للإلياذة عدة مخطوطات تظهر لنا دراستها على أنها قد نسخت جميعها من نصوص ترجع إلى القرنين : الثالث والرابع بعد المسيح أى بعد أن ظهرت نتائج مجهودات أدباء الاسكندرية ، وقد عرف ذلك من أن الاسكندريين قد حذفوا من الإلياذة مقطوعات ، آمنوا ـ لأمر ما ـ بأنها ليست لهوميروس ، ولكن النقاد المحدثين ألفوا فريقاً من القدماء الذين سبقوا العصر الاسكندرى مثل بلوتَرْخوس وأثينيئوس يعزون تلك المقطوعات بالذات إلى هوميروس ، فحملهم ذلك على الدرس والتحليل والموازنة حتى انتهوا من إعادتها إلى هوميروس .

ومهما يكن من شىء ، فإن أجدر هذه المخطوطات بالاعتبار مخطوطة توجد فى مكتبة سان مرقس بمدينة البندقية ، وقد وضع لها ـ كطابع يميزها عن غيرها ـ عنوان فينيتوس[1] (ا) « Venetus A » ويرجع تاريخها إلى القرن العاشر بعد المسيح ، وقد كتبت بعناية فائقة ، وذيلت بهوامش وتعليقات للشرح والإيضاح بأقلام : أرِسْتَرْخوس وغيره من المعقبين ، وقد بقيت هذه المخطوطات مطمورة حتى كشف أنس دى فِلْوازون الفرنسى النقاب عنها فى سنة ١٧٨١ .

---

(١) فينيتوس هو نسب لاتينى إلى مدينة البندقية التى توجد المخطوطة فى مكتبتها .

وهناك مخطوطات أخرى جيدة تتراوح تواريخها بين القرون الحادى عشر والثانى عشر والثالث عشر ، فـفى البندقية توجد مخطوطة نسخت فى القرن الحادى عشر ، وفى فلورنسا مخطوطتان أولاهما كتبت فى القرن الحادى عشر ، وثانيتهما فى القرن الثانى عشر . وفى جنيف واحدة نُسِخَتْ فى القرن الثالث عشر ، وفيما عدا ذلك توجد شذرات مختلفة مكتوبة على أوراق البردى قد عثر عليها فى المدافن المصرية الأثرية ، وتتراوح تواريخ نسخها فيما بين القرنين الثالث قبل المسيح والثانى بعده ، وقد نشرت هذه الشذرات جميعها فى المجلة الباريسية « Notices et extraits de manuscrits , t . 18 »

٢ ـ الأوديسا

يرجع تاريخ أقدم مخطوطات الأوديسا المتداولة إلى القرن الثانى عشر ، وهى لا تزيد على أنها تسجل نصوص هذه القريدة على النحو الذى كانت معروفة عليه فى العصر البيزنتى. ومما يلفت النظر فى هذه المخطوطات أنها أقل صحة من مخطوطات الإلياذة ، ولـكن الشروح والتعليقات التى ذيلت بها تجعـل من الميسور معرفة تلك النصوص كما كانت فى العصر الاسكندرى بحالة تكاد تشبه فى الوضوح حالة الإلياذة . وَأَوْلى هذه المخطوطات بالعناية ما يوجد منها فى ميلانو ، وڤينا ، وپاريس ، ومونيخ ، وهَمْبُرْغ .

٣ ـ القصائد الهزيودوسية

توجد لإنتاج هزيودوس عدة مخطوطات ، ولـكن أهمها هو ما تتأرجح تآريخه بين القرنين : الحادى عشر والخـامس عشر بعد المسيح . ففى فلورنسا يوجد أفضل مخطوطات « الأعمال والأيام » ويرجع تاريخها إلى القرن الثانى عشر . وهناك مخطوطتان أخريان ترجع أولاهما إلى القرن الثالث عشر وثانيتهما إلى القرن الخامس عشر تشـتمل كل منهما على الثيوغونيا وترس هيركليس . وفى پاريس توجد مخطوطة تحمل تاريخ القرن الخامس عشر، وهى تحتوى على القصائد الثلاث : « الأعمال والأيام »و«الثيوغونيا»و« ترس هيركليس »

ومخطوطة أخرى للأعمال والأيام مذيلة بقطع من تعليقات پركليس . وفى البندقية توجد مخطوطتان يرجع تاريخهما إلى القرن الرابع عشر ، وهما تشملان كل المنتجات المعزوة إلى هزيودوس مذيلة بهوامش . وفى مسينا توجد مخطوطة للأعمال والأيام يرجع تاريخها إلى القرن الثانى عشر .

(ب) المطبوعات

طبع ديمتريوس خَلْكُنْديلوس « الإلياذة » و « الأوديسا » فى فلورنسا للمرة الأولى فى سنة ١٤٨٨ وطبع « الأعمال والأيام » فى ميلانو فى سنة ١٤٩٣ ثم جعلت الطبعات بعد ذلك تتوالى إلى أن جاء العصر الحديث فكان من أهمها ما يلى :

١ ـ الإلياذة والأوديسا معاً

مازون ، مجموعة بُوديه ، پاريس . ـ دِنْدُرْف ، مجموعة ديدو ، ١٨٧٧ ، پاريس . ـ لُدْوِيخ ، ١٩٠٧ ، لِبْزيج . ـ پيرون ، ١٨٨٣ ، پاريس ، وبها تعليقات فرنسية . ـ أمِيس ، هِنْس ، كُوير ، مجموعة تُبْنير ، لِبْزيج ، وبها تعليقات ألمانية .

٢ ـ الأوديسا وحدها

ڤكتور بيرار ، مجموعة بوديه ، ١٩٣٥ ، پاريس .

٣ ـ الدائرة الحماسية

دَنْدُرْف ، ١٨٣٧ ، پاريس ، وهو يحتوى على جميع شذرات الدائرة الحماسية وعلى « خِرِسْتُوماثِيا » لپركلوس ، وقد أسلفنا الحديث عنه . ـ موليِر ، ١٨٢٩ ، لِبْزيج . ـ كَنْكِيل فى الجزء الأول من منشوره المسمى "Epicorum graecorum fragmenta" ، ١٨٧٧ ، تُبْنير ، لبزيج . ـ جِسْفُرد ، ١٨٥٢ لبزيج ، وهو يشتمل على خِرِسْتُوماثيا لپركلوس .

٤ ـ القصائد الهزيودوسية مجتمعة

رزاخ ، ١٩٠٢ ، تُبْنير ، لبزيج . ـ مازون ، مجموعة بُوديه ، باريس . ـ لِرْس ،

مجموعة ديدو ، باريس . ـ سِتْل ، ١٨٨٩ ، أثينا ، وعليه هوامش للشرح والتعليق .

٥ ـ الأعمال والأيام وحدها

وَلْز ، ١٩٠٩ ، باريس ، وعليه هوامش فرنسية . ـ مازون ، ١٩١٤ ، باريس ، وعليه هوامش فرنسية كذلك .

٦ ـ النشائد الهوميروسية

بُومِسْتير ، ١٨٦٠ ، لِبزيج . ـ جيمول ، ١٨٨٦ ، لبزيج ، وعليه تعليقات ألمانية . ـ ألين ، ١٩٠٦ ، لندن . ـ رِيزاخ ، ١٩٠٢ ، تُبنير ، لبزيج . ـ همبير ، مجموعة بوديه ، باريس .

(ح) الترجمات

١ ـ إلى الفرنسية

الإلياذة وحدها ـ بَرْتِلمي سنت هلير ، ترجمة شعرية ، باريس

الإلياذة والأوديسا معاً ـ دُوجا مُنْبيل ، ١٨٣٤ . ـ ليكُنْت دى ليل ، لِيمير ، باريس ، [وقد ذيَّل الأوديسا بترجمة للنشائد الهوميروسية] . ـ مَنْيان ، باريس .

الأعمال والأيام . ـ وَلْز ، ١٩٠٩ ، بُرُكسيل .

٢ ـ إلى الألمانية

الثيوغونيا ـ شومان ، ١٨٦٨ ، برلين .

٣ إلى اللاتينية

قصائد الدائرة الحماسية ـ مولير ١٨٢٩ ، باريس

٤ ـ إلى العربية

الإلياذة ـ توما البستاني ترجمة شعرية ، مطبعة الهلال بالقاهرة ١٩٠٤ ، وقد صدرها بمقدمة عن هوميروس وشعره .

BIBLIOGRAPHIE

Histoires de la littérature grecque.
W. Christ, 1905, Leipzig, Teubner.
A et M. Croiset, Boccard, 1928, Paris.
M. Egger, Delaplane, Paris.
J. - P. Mahaffy, 1903 - 1904, Oxford.
A. Pierron, Paris, 1863.
O. Müller, trad. Hillebrand, 1865, Paris.
Wilamowitz. Moellendorff 1905, Leipzig, Teubner.

ETUDES.

E. Audoin, Etude sommaire des dialectes Grecs littéraires, 1891, Paris.
V. Bérard, Les Phéniciens et L' Odyssée, 1902, 1903, Paris.
— , Les Navigations d' Ulysse, Paris.
— , Nausicaa et le retour d' Ulysse, 1929, Paris.
A. Bougot, Etude sur L' Iliade d' Homère, 1888, Paris.
M. Bréal, Pour mieux connaître Homère, 1906, Paris.
Chaignet, Les Héros et les Héroïnes d' Homère, Paris.
Couat, Homère, Paris, 1886.
P. Decharme, Mythologie de la Grèce antique, 1886, Paris.
A. Duruy, Histoire de la Grèce antique, Paris, 1883.
Dugas - Monbel, Histoire des poésies homériques, 1834, Paris.
E. Egger, La littérature grecque, 1890, Paris.
H. Flach, Das System der hésiodischen Kosmogonie, 1874, Leipzig.
A. Fouillée, Esquisse psychologique des peuples européens, 1903, Paris.

J. Girard, Le sentiment religieux en Grèce, 1879, Paris.
P. Girard, Comment a du se former l' Illiade, dans Revue des études grecques, tome xv, 1902, Paris.
Grote, Histoire de le Grèce antique, trad. franç. Sadous, Paris.
H. Hignard, Les Hymnes Homériques, 1864, Paris.
Humbert et Berguin, Histoire illustrée de la littérature Grecque, Didier, Paris.
Gugniaut, De la Théogonie d' Hésiode, Paris.
Mazon, Hésiode, dans Revue d' études anciennes, t. XIV, 1912, Paris.
Puech, L' Illiade, Analyse et com. Paris.
G. Sortais, Illios et Illiade, 1894, Paris.
P. Wallz, Hésiode et son poème moral, 1906, Paris.

LEXIQUE

Ebeling, Lexicon Homericum, 2 vol., 1885, Leipzig.

فهرس الموضوعات

صفحة

الإهداء .

مقدمة . ٣

دراسة لا بد منها . ١٢

منشأ الأمة الهيلينية وتسميتها ، ميزات الهيلين وعيوبهم ، اللغة الهيلينية ولهجاتها ، خصائص الأدب الهيليني ، العصور التي أنشىء فيها هذا الأدب .

العصر الينياني .

الشعر الحماسي .

الفصل الأول : إيضاح العناصر الأولية للأدب الهيليني . ٢٧

تمهيد ، أسطورة حرب تروادة .

الفصل الثاني : الإلياذة . ٣٤

تلخيص وتحليل ونقد (١) الأنشودة الأولى . (٢) من الأنشودة الثانية إلى العاشرة . (٣) الأنشودة الحادية عشرة . (٤) من الأنشودة الثانية عشرة إلى الخامسة عشرة . (٥) الأنشودتان السادسة عشرة والسابعة عشرة . (٦) من الأنشودة الثامنة عشرة إلى الأخيرة .

الفصل الثالث : نقاش وجدل . ٥٨

(ا) كيف تكونت الإلياذة . ٥٨

(ب) إلماعة تقديرية . ٦٢

الفصل الرابع : شخصيات الإلياذة ، تمهيد . ٦٩

صفحة

(ا) الآلهة . ٧١

(١) زوس . (٢) أثينيه . (٣) هيريه . (٤) فيبوس أبولون . (٥) أفروديتيه .

(ب) الأبطال . ٧٥

(١) أخيـوس . (٢) أجاممون . (٣) أوديسوس (٤) أياس تيلامون . (٥) ذيوميديس . (٦) نستور . (٧) مينيلاؤوس . (٨) هكتور . (٩) پرياموس .

(حـ) البطلات . ٨٠

(١) أندروماخيه . (٢) هيكـوبيه . (٣) هيلينه

الفصل الخامس : الأوديسا ، تلخيص وتحليل ونقد . ٨٢

(ا) المجموعة الأولى أو التيليماخوسية . ٨٤

من الأنشودة الأولى إلى الرابعة .

(ب) المجموعة الثانية أو أحداث أوديسوس . ٨٨

(١) من الأنشودة الخامسة إلى الأنشودة الثامنة . (٢) من الأنشودة التاسعة إلى الأنشودة الثانية عشرة .

(حـ) المجموعة الثالثة أو انتقام أوديسوس . ١٠١

من الأنشودة الثالثة عشرة إلى الرابعة والعشرين .

الفصل السادس : نظرة فاحصة . ١١٥

(ا) كيف تكونت الأوديسا . ١١٥

(ب) لمحة خاطفة عن الأوديسا . ١١٨

الفصل السابع : شخصيات الأوديسا . ١٢٤

تمهيد .

صفحة

(ا) الآلهة : ١٢٦

(١) أثينيه . (٢) بوسيذون . (٣) بُرُتيوس .
(٤) كالبسو .

(ب) الأبطال . ١٢٩

(١) أوديسوس . (٢) تيلياخوس . (٣) أميوس .
(٤) فِلْوَتيُوس . (٥) لاإرتيس . (٦) الكينووُوس .
(٧ ، ٨) نستور ومينيلاؤوس .

(حـ) البطلات . ١٣٦

(١) پينيلپيا . (٢) نوسيكا . (٣) هيلينيه .

الفصل الثامن : إلماعة ختامية عن الإلياة والأوديسا . ١٤٠

(ا) نماذج منهما .

(١) من الإلياذة . (٢) تعهد أخيلوس للكاهن بالحماية ، إهانة أخيلوس أجاممنون ، بهر التروادیين بحسن هيلينيه ، أسف هيلينيه ، توسلات أندروماخيه إلى هكتور ، أمنية هكتور لابنه الطفل ، حقد أخيلوس على هكتور ، توسلات پرياموس إلى أخيلوس ، دموع هيلينيه على هكتور . (٢) من الأوديسا ، أوديسوس متجهاً إلى نوسيكا ، بين أوديسوس وشبح أخيلوس ، بين أوديسوس وشبح والدته ، كيف تروى پينيلُپيا قصتها للمتسول ، إنتقام أوديسوس .

(ب) مصير الإلياذة والأوديسا . ١٥٠

تأثيرهما فى العالمين القديم والحديث

الفصل التاسع : الدائرة الحماسية . ١٥٤

تمهيد .

صفحة

(ا) المجموعة التروادية . ١٥٥
(ب) المجموعة الثيبية . ٩٦٢
القصائد المتفرقة :
الشعر التعليمى .
نظرة تمهيدية . ١٦٧
الفصل العاشر هزيودوس . ١٧٠
(ا) حياته . ١٧٠
(ب) منتجاته أو « الأعمال والأيام » . ١٧٣
(١) تلخيص هذه القصيدة وأقسامها : القسم الأول ، القسم الثانى ، القسم الثالث ، القسم الرابع . (٢) كيف تكونت هذه القصيدة (٣) تحليل أدبى موجز . (٤) المبادىء الأخلاقية . (٥) استخدام الأساطير ، الإيريسان الشقيقتان أو تشخيص الحسد والغبطة ، ذيكيه أو تشخيص العدالة ، أسطورة پندوريه ، أسطورة الأجناس الخمسة ، الجنس الذهبى ، الجنس الفضى ، الجنس الحديدى . (٦) كلف الشاعر بالطبيعة .
الفصل الحادى عشر : شعر الأنساب . ١٩٣
تمهيد .
(ا) الثيوغونيا أو أسرة الآلهة . ١٩٤
(١) وقفة تحليلية . (٢) بدء الوجود . (٣) كيف تكونت الثيوغونيا . (٤) القيمة الأدبية لهذه القصيدة .
(ب) قائمة الأبطال . ٢١٤
(ح) ترس هيركليس . ٢١٦
(ء) قصائد مختلفة . ٢١٧
الميلپوسية ، نزول ثسيوس إلى الجحيم .

صفحة

الفصل الثانى عشر : منتجات أواخر العصر الحماسى . ٢٢٠

تمهيد

(ا) النشائد الهوميروسية ٢٢١

(١) نشيد إلى أپولون فى ديلوس . (٢) نشيد إلى أپولون فى پيثو . (٣) نشيد إلى هرميس . (٤) نشيد إلى أفروديتيه . (٥) نشيد آخر إلى أفروديتيه . (٦) نشيد إلى ديمتير . (٧) نشيد إلى ذيونيسوس . (٨) نشيد إلى أثينيه . (٩) نشائد مختلفة .

(ب) قصائد الهجاء ٢٣٨

(ح) المرجيتيسية ٢٣٩

(ء) البترا خُميوماخيا أو قصيدة الضفادع . ٢٤٠

خاتمة ٢٤١

المخطوطات والمطبوعات والتراجم المستقلة لهذه المنتجات ٢٤٣

(ا) المخطوطات ٢٤٣

(١) الإلياذة . (٢) الأوديسا . (٣) القصائد الهزيودوسية .

(ب) المطبوعات ٢٤٥

(١) الإلياذة والأوديسا معاً . (٢) الأوديسا وحدها . (٣) الدائرة الحماسية . (٤) القصائد الهزيودوسية مجتمعة . (٥) الأعمال والأيام وحدها . (٦) النشائد الهوميروسية .

(ح) المترجمات ٢٤٦

(١) إلى الفرنسية ، الإلياذة وحدها ، الإلياذة والأوديسا معاً ، الأعمال والأيام . (٢) إلى الألمانية ، الثيوغونيا . (٣) إلى اللاتينية ، قصائد الدائرة الحماسية . (٤) إلى العربية ، الإلياذة .

المصادر ٢٤٧

لفت نظر

وقعت فى هذا الجزء أخطاء مطبعية بسيطة بعضها يؤدى إلى التقاء الساكنين فى الأعلام الأوروبية رغم احترازنا عن ذلك بقدر المستطاع ، و بعضها الآخر بسبب كتابة أعلام هيلينية تبعاً للنطق الفرنسى . فمثال النوع الأول : أوتفريد ، برنارْدى ، نيستور ، سانْت ؛ ومثال الثانى : أولب بدلاً من أولمپوس ، وكريزيثيس ابنة كريزيس ، بدلاً من كريسيثيس ابنة كريسيس ، و بريزيس بدلاً من بريسيس ، وأديس بدلاً من هاديس ، فوجب التنبيه وفيما عدا ذلك لا يوجد إلا هفوات من النوع الخفيف كنقْط الحاء المهملة أو الهاء الأخيرة ، أو وضع نقطتين فوق الفاء وما شاكل ذلك .

من منتجات المؤلف

كتب طبعت بالعربية

١ — ألفلسفة الشرقية (طبعة ثانية) مكتبة الإنجلو المصرية .
٢ — « الإغريقية جزآن (طبعة ثانية) المكتبة المذكورة .
٣ — العامة (لدى المؤلف) .
٤ — مشكلة الألوهية (دار إحياء الكتب العربية) .
٥ — ألأخلاق النظرية (لدى المؤلف) .
٦ — ألفلسفة الإسلامية فى المغرب (دار إحياء الكتب العربية) .
٧ — ألمذاهب الفلسفية العظمى فى العصور الحديثة .
٨ — الجزء الأول من الأدب الهيلينى (دار إحياء الكتب العربية) .
٩ — تفثات ولمحات (لدى المؤلف) .
١٠ — ألفلاحون (طبعة ثانية) دار الإعلانات المصرية .
١١ — كوبلا (دار الكاتب المصرى) .
١٢ — ألصحة (طبعة ثانية) دار الإعلانات المصرية .

كتب تحت الطبع

١ — ألفلسفة الإسلامية فى المشرق .
٢ — مشكلة النفس .
٣ — « المعرفة .
٤ — « المادة والحياة .

٥ — الكلام والمتكلمون .

٦ — التصوف والمتصوفون .

٧ — الفلسفة المسيحية فى الشرق والغرب .

٨ — « التجريبية .

٩ — تيارات الفكر الفلسفى الفرنسى (مترجم) .

١٠ — تاريخ الفلسفة لإميل برهييه («) .

١١ — معركة مع شياطين الهوى أو أسرار الحياتين : السياسية والاجتماعية فى مصر .

١٢ — بقية كتاب الأدب الهيلينى وهى أربعة أجزاء .

١٣ — الآداب الأوروبية الحديثة (خمسة أجزاء) .

١٤ — تحطيم أوثان الأدب المصرى المعاصر .

١٥ — نقد الترجمات الفلسفية والأدبية فى مصر .

١٦ — شهيرات النساء الأوروبيات وآثارهن الخالدة .

١٧ — المسبحة الوردية .

١٨ — أجلاثين وسيليزيت .

١٩ — جُليادى تريكور .

٢٠ — مثل أخلاقية عليا ، وهذه الكتب الأربعة الأخيرة مترجمة .